



Volume 7, Issue 3, March 2020, p. 97-119

Istanbul / Türkiye

**Article Information**

*Article Type: Research Article*

*This article was checked by iThenticate.*

**Article History:**  
Received  
07/10/2019  
Received in revised form  
10/11/2019  
Accepted  
10/12/2019  
Available online  
15/03/2020

## SEMANTIC RESEARCH IN THE METHOD OF FAKHR AL DIN AL-RAZI HERMENEUTICS IN ITS INTERPRETATION

Assist. Prof. Dr. Mustafa Kamal AL-MAANI<sup>1</sup>  
Assist. Prof. Dr. Mahmoud Haroun Al-Nawafleh<sup>2</sup>  
Mr. Raed Abdul Jalil Al-Awawdeh<sup>3</sup>

### Abstract

In the fundamentalist perspective, the Qur'anic discourse relies mainly on the Arabic language and its methods of expressing the meaning and the meaning of the meaning, as pointed out by Abdul Qahir Al-Jurjani in his book "Signs of Miracles". I nominated the Qur'anic discourse to open to interpretation, And the basis of this openness, is in the methods of linguistic expression of the types of metaphors and rhetorical images, which makes the language in which the Koran was imposed imposes the interpretive phenomenon in its meanings and inferences. The statement of this phenomenon in particular the Qur'anic text - "that interpretation began with interpretation and made this, related to the verbal significance, and interpretation of this concept did not impose, and was not born of mental trends, but it is a phenomenon necessitated by the characteristics of the Arabic language, and characterized by the large number of faces, This is what Imam Razi gave him in many aspects of his great interpretation in particular and the whole of his philosophy in general, which is what this research tries to show its basic features and features.

**Key words:** Semantic, interpretation, hermeneutics, Verbal significance.

<sup>1</sup>Al-Hussein Bin Talal University, [mr6462@yahoo.com](mailto:mr6462@yahoo.com)

<sup>2</sup> Al-Hussein Bin Talal University, [mr6462@yahoo.com](mailto:mr6462@yahoo.com)

<sup>3</sup> Ministry of Education; Teacher, [mr6462@yahoo.com](mailto:mr6462@yahoo.com)

## البحث الدلالي في منهج الفخر الرازي التأويلي في تفسيره الكبير (دراسة تطبيقية)

أ.م. د. مصطفى كمال المعاني

أ.م. د. محمود هارون النوافلة

رائد عبد الجليل العواودة

### الملخص

إن الخطاب القرآني - في المنظور الأصولي - يعتمد أساساً على أفانين اللغة العربية وما فيها من أصناف أساليب التعبير عن المعنى، وعن معنى المعنى، كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، وهذه الخصوصية المتميزة في اللغة هي التي رشحت الخطاب القرآني لكي يفتح على التأويل، وأن أساس هذا الانفتاح، هو ما في أساليب التعبير اللغوي من صنوف المجازات والصور البلاغية، التي تجعل اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم تفرض الظاهرة التأويلية في معانيها واستدلالاتها. وبيان ارتباط هذه الظاهرة بالنص القرآني على وجه الخصوص - "بأن التأويل بدأ مع التفسير وجعله هذا، يتعلق بالدلالة اللفظية، والتأويل بهذا المفهوم لم يفرض، ولم يكن وليد اتجاهات عقلية، وإنما هو ظاهرة استوجبتها خصائص اللغة العربية، وما تتميز به من كثرة الوجوه، وحسن المطاوعة، ولا حيلة لأحد في دفعه (أي التأويل) ما بقيت اللغة"، وهذا ما قدم له الإمام الرازي في جوانب متعددة من تفسيره الكبير بشكل خاص ومجمل فلسفته بشكل عام، وهو ما يحاول هذا البحث إظهار سماته وملاحمه الأساسية.

الكلمات المفتاحية: الدلالي، التفسير، التأويل، الدلالة اللفظية.

## مدخل:

إنّ المهمة الأساسية التي أُلقيت على عاتق المفسرين هي بيان المعاني وتفسير النصوص؛ كي يسهل على القارئ فهمها واستيعابها، وبالتالي تمثلها والتزامها. وفي سبيل إنجاز هذه المهمة سعى هؤلاء المفسرون إلى بيان المعاني بطرق متفاوتة، كلّها تصب في خدمة المعنى الدلالي؛ مما يمثّل الجانب الجوهري لـ "علم الدلالة"؛ فالمفسرون الأوائل وفقّوا إلى إدراك الدلالات بأنواعها، وإن لم ينظروا لها، أقصد الدلالات المعجميّة والصرفيّة والتركيبية والصوتية خدمة للمعاني، على الرغم من التفاوت الواضح في استخدام هذه الدلالات. وهذا البحث محاولة تتبّع الدلالات بأنواعها عند مفسّر واحد، هو الفخر الرازي (ت606هـ). في التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). وجاء اختيار الباحث هذا إيماناً منه بغزارة التوظيفات الدلالية عند هذا المفسّر وإشباعه النسبي للدلالات المختلفة عموماً. وقد جاء هذا البحث في مطلبين أساسيين؛ أمّا المطلب الأول فقد تناول الباحث فيه ترجمة للمفسّر وأوضح أبرز المحطات التي عاشها في حياته، والتي من شأنها أن تسهم في بناء شخصيته العلميّة التي لم تخفّ في ثنايا تفسيره. كما تناول تعريفاً موجزاً بمصنّفه (التفسير الكبير) مبيناً أبرز سمات هذا التفسير القرآني، وأشهر ملامحه المنهجية. وأمّا المطلب الآخر فقد قسمه الباحث خمسة أقسام دلالية؛ القسم الأول موسوم بـ(سياق الحال)، والثاني بـ(الدلالة المعجميّة)، والثالث بـ(الدلالة الصرفيّة)، والرابع بـ(الدلالة التركيبية)، والخامس بـ(الدلالة الصوتية)، ثم تناول كل قسم على حدة مغنياً إياه بأمثلة من التفسير، وقد أولى الباحث، في هذا المحور، جلّ اهتمامه في استخراج الأمثلة، وقلل رجوعه للمصنّفات التنظيرية.

## المطلب الأول: فخر الدين الرازي وتفسيره الكبير

## ● فخر الدين الرازي (606هـ)

هو مُجّد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الرازيّ المولد<sup>4</sup>، الشافعي المذهب<sup>5</sup>. وقد لُقّب في حياته بألقاب تدل على المكانة العلمية التي بلغها؛ فهو (الإمام)<sup>6</sup>، و(فخر الدين)، و(ابن

نسبة إلى مدينة الري، وتقع في الجنوب الغربي من طهران على حافة السهول الزراعية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116-118.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص249.

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص248.

الخطيب)، و(ابن خطيب الري)<sup>7</sup>؛ نسبة إلى والده ضياء الدين عمر، الذي كان خطيباً للري ومن ثم تولى ابنه الخطابة من بعده. واختلف كتاب السيرة في سنة ولادته؛ فمنهم من قال: إنه وُلد سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة، ومنهم من قال: بل سنة أربع وأربعين وخمسمئة للهجرة<sup>8</sup>. وكان والده، ضياء الدين عمر، أحد متكلمي الأشاعرة، وفقهياً شافعيًا، ومن هنا درس الإمام فخر الدين في صباه على والده حتى وفاته. ثم انتقل بين الدويلات الإسلامية، وحصل له في بعضها شأن عظيم<sup>9</sup>. وتوفي الإمام فخر الدين الرازي على أرجح الأقوال سنة ست وستمئة للهجرة<sup>10</sup>. كان الإمام فخر الدين الرازي محبا للقراءة حتى كان يقول: " والله إني آسف في القوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز"<sup>11</sup>. وكان لكثرة ترحاله دور في اتساع علمه ونباهة عقله، ورحلاته مثبته في كتب التراجم<sup>12</sup>. يشدُّ الانتباه ما تركه الإمام الرازي من آثار علمية، وكيف اتسعت حياته لإنجازها كلّها، وقد قال في وصيته: " إني كنت محبا للعلم، فكنت أكتب في كل شيء شيئا لا أفقُ على كميته وكيفيته"<sup>13</sup>. وهذا المبدأ في الكتابة يدلُّنا دلالة واضحة على موسوعية علم الإمام وتعمق رؤيته في العلوم. وصفه الصفدي، فقال: " اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره: سعة العبارة في القدرة على الكلام، وصحة الذهن، والاطلاع الذي لا فريد له، والحافظة المستوعبة، والذاكرة التي تعينه على ما يريد في تقرير الأدلة والبراهين"<sup>14</sup>. كان منهج الرازي واضحا في معالجته المسائل ودراسته القضايا؛ فقد كان " يذكر المسألة، ويفتح باب تقسيمها، وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدلُّ بأدلة السبر"<sup>15</sup> والتقسيم، فلا يشد عنه من تلك المسألة فرع لها بما علاقة، فانضبطت له القواعد، وانحصرت معه المسائل"<sup>16</sup>.

<sup>7</sup> ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص249.

<sup>8</sup> ابن خلكان، المرجع السابق، ج4، ص250.

<sup>9</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج12، ص288.

<sup>10</sup> الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص250.

<sup>11</sup> ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص462.

<sup>12</sup> انظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص25، وابن الأثير، الكامل، ج12، ص288، وغيرهما.

<sup>13</sup> السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص37.

<sup>14</sup> الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص249، كما فصل الحديث فيه الشيخ خليل الميس في تقديمه التفسير الكبير، انظر: مقدمة

التفسير الكبير، ج1، ص5-8.

<sup>15</sup> "السبر" ومعناها "الأصل".

<sup>16</sup> الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص248-249.

اشتهرت كتب الإمام الرازي، وأقبل الناس عليها لأسلوبها السهل أحيانا، ولأنها جمعت خلاصة ما أنتجته قرائح المتقدمين في العلوم الدينية، والعقلية والعربية والطبية، وأوصل بعضهم عدد مؤلفاته إلى مئتي مصنف<sup>17</sup>. إن أشهر مصنف من مصنفات الإمام الرازي هو التفسير الكبير أو "مفاتيح الغيب"، وهو تفسير للقرآن الكريم، حظي بعناية كبيرة من الدارسين؛ فأخذوا يدرسونه ويعلقون عليه وينقدونه. وقد اختلف بعضهم في تنمة الرازي لهذا التفسير أم لا، والأرجح أنه أممه كما يقول الصفدي "على المنبر إملاء"<sup>18</sup>؛ وذلك لعدم تغير أسلوب التفسير والتحليل في التفسير كاملا، وسيأتي الكلام عن التفسير لاحقا بعون الله تعالى

### ● التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"

التفسير الكبير، كما أسلفت، أشهر مصنف للإمام الرازي، وقد طبع عدة طبعات<sup>19</sup>. ويبيّن الشيخ خليل الميس في تقديمه للتفسير الكبير خصائص هذا التفسير ومميزاته، ويجعلها في خمس نقاط<sup>20</sup>: وهي الاستطراد في النظر والتفسير، وعرض القراءات وتوظيفها أحيانا، وإيراد الأحاديث النبوية لخدمة الفهم والإفهام، والاستشهاد بالشعر، وأخيرا استثمار أسباب النزول في خدمة التفسير. قال ابن خلكان في وصفه "التفسير الكبير" للرازي: إنه "جمع فيه كل غريب وغريبة"<sup>21</sup>. وقال فيه ابن تيمية: "فيه كل شيء إلا التفسير". وردّ السبكي على هذه العبارة التهكمية بقوله: "ما الأمر هكذا، إنما فيه مع التفسير كل شيء"<sup>22</sup>. وقال الإمام الرازي نفسه: "إنّ القرآن أصل العلوم كلّها"<sup>23</sup>؛ فكانت هذه النظرة نقطة الانطلاق في هذا التفسير، حيث يتلمس الباحث توظيف العلوم في التفسير توظيفا منطقيًا. "حوى تفسير الرازي آراء أئمة المفسرين؛ كابن عباس -رضي الله عنه-، وابن الكلبي، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وسعيد بن جبير. وفي اللغة ينقل عن كبار الرواة كالأصمعي، وأبي عبيدة، وعن العلماء كالقراء والزجاج والمبرد. ومن المفسرين الذين نقل عنهم: مقاتل بن سليمان المروزي، وأبو إسحاق الثعلبي، وأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، وابن قتيبة،

<sup>17</sup> ابن الساعي الخازن، الجامع المختصر، ج9، ص306.

<sup>18</sup> الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص254.

<sup>19</sup> بولاق 1279هـ، والعميرة 1310هـ، والحسينية 1327هـ، وغيرها.

<sup>20</sup> انظر: مقدمة التفسير الكبير، ج1، ص8-9.

<sup>21</sup> ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص248-249.

<sup>22</sup> الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص254.

<sup>23</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص134.

ومُجَّد بن جرير الطبري، وأبو بكر الباقلاني،<sup>24</sup>. ولو توقفنا قليلا عند أبرز ملامح منهج الرازي في تفسيره، التي تقوم على ما يأتي:

**أولاً:** اهتمام الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره؛ فهو يهتم غاية الاهتمام بذكر المناسبات بين الآيات القرآنية بعضها مع بعض، وكذلك يهتم بذكر مناسبات السور بعضها مع بعض، مؤمنا بأن وضوح مناسبة النزول وضوح للمعنى لدى الدارس.

**ثانياً:** لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام، إلا ويذكر أقوال أهل العلم فيها، مع ترجيحه غالباً لمذهب الشافعي، الذي ينتمي إليه. ويفعل مثل هذا في المسائل الأصولية، والنحوية.

**ثالثاً:** كان الفخر الرازي مولعاً بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره، إضافة إلى توسُّعه - كما ذكرنا آنفاً - في ذكر مسائل الكون والطبيعة، ولأجل هذا، فقد قلَّ البعض من قيمة هذا الكتاب، كتفسير للقرآن الكريم، بل وصل الأمر ببعضهم بأن وصف هذا التفسير بقوله: "فيه كل شيء إلا التفسير" وهذا القول فيه شيء من المبالغة، فلا يسعنا أن نسلِّم به على إطلاقه. إنَّ ما يهمننا من دراسة هذا التفسير الضخم الجانب الدلالي الذي أبرزه الرازي خدمة للقرآن العظيم وتيسيراً على القارئ، ولعلَّ أول ما يلاحظه الدارس في هذا التفسير هو اهتمام الرازي بترتيب الآيات وتحليلها وبيان أسباب مجئها على صورتها، والاستدلال بذلك على إعجازها<sup>25</sup>. فقد تأمل الرازي دقائق المعاني، وحرص على بيان روعة النظم وتناسق ترابط الكلمات في السور والآيات "وهو علم عجيب أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره وقال فيه: إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"<sup>26</sup>.

### المطلب الثاني: منهج الفخر الرازي في تفسيره الكبير

إنَّ الناظر في التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي يلحظ التزاما واضحا في المنهج العام عند المفسر، وهذا الالتزام تظهر ملامحه جليّة في التفسير كاملا، بغضِّ النظر عن الرواية التي تقول: إنَّ

<sup>24</sup> مقدمة التفسير الكبير، ج1، ص9.

<sup>25</sup> انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج7، ص138.

<sup>26</sup> الباقلاني، إعجاز القرآن، ص277.

الرازي لم يتمم تفسيره بيده كتابة وإنما أتمّه إملاءً، والتزام المنهج دليل صريح على علميّة العقلية لدى الإمام الرازي، حيث الترتيب والوضوح والتنظيم والتقسيم. إنّ من أبرز السمات المنهجية عند الرازي عرضه للمسألة وما حوته من خلاف عند العلماء، ثم يقول: "وأقول الأولى في تقريره أن يقال...<sup>27</sup>، أو "فإن قالوا: قلنا"<sup>28</sup>، أو "وأجيب عنه..."<sup>29</sup>. وهذه الطريقة تضع القارئ أمام صورة كاملة للمسألة، قبل أن يخرج برأي الرازي نفسه أو ترجيحه. وهو كذلك من زاوية لغوية كان يعرض آراء أهل اللغة في المسألة المعيّنة، ثم يرجح ما يراه راجحاً بقوله: "لكنّ رواية الإثبات راجحة..."<sup>30</sup>، أو يضعفها نحو "والكلام ضعيف..."<sup>31</sup>، وقد يُبطل رأياً بقوله: "وهو باطل..."<sup>32</sup>. أكثر الرازي في تفسيره من الاستشهاد بالقرآن الكريم، ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم<sup>33</sup>؛ وذلك لأغراض لغوية من شأنها أن توضح معنى الآية الكريمة بدقة دون زيادة أو نقصان. ويعدّ هذا الاستشهاد ملمحاً منهجياً بارزاً في "التفسير الكبير". ومن الأمثلة على تكثيف الرازي الشواهد على معنى معيّن فعله في كلمة (السفهاء) في قوله تعالى "ألا إنهم هم السفهاء" (البقرة:13)، حيث استشهد على معناها بآية كريمة وحديث شريف وبيت شعري لذي الرمة وآخر لأبي تمام<sup>34</sup>.

يقول الرازي: "السفه: الحفّة، يقال: سفهت الريح الشيء إذا حركته، قال ذو الرمة:

جرين كما اهتزت رياح تسفّهت  
أعاليها مرّ الرياح النواسيم

وقال أبو تمام الطائي:

سفيه الرمح جاهله إذا ما  
بدا فضل السفيه على الحليم

وإنما قيل لبديء اللسان سفيه؛ لأنه خفيف لا رزانة له. وقال تعالى: "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم" (النساء:5).

وقال عليه الصلاة والسلام: "شارب الخمر سفيه"؛ وذلك لقلة عقله.

<sup>27</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص55،94.

<sup>28</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص54.

<sup>29</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج1، ص54.

<sup>30</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج1، ص87.

<sup>31</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج1، ص91.

<sup>32</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص28.

<sup>33</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص18/ ج5، ص140.

<sup>34</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص62.

كلّ هذا قيل في بيان معنى كلمة واحدة احتاج سياقها لتفصيل كي يبيّن الرازي مزيتها ودلالاتها في مكانها القرآني، مستعينا بكلام الرسول ﷺ وكلام العرب عامة. لقد سعى الرازي إلى تفسير المفردات القرآنية تفسيراً دقيقاً، وحدّد معانيها بكل الطرق الممكنة، وأتبع ذلك شرح العبارات والتراكيب، واعتمد في كل ذلك على أصل دلالة اللفظة<sup>35</sup>، ثم على مراحل تطورها، ودلالاتها من خلال التركيب الذي سبكت فيه، كل ذلك بما يوافق كلام العرب وأساليبهم، مؤمناً بجدوى ذلك في إيصال المعنى العام للقارئ. والمتتبع للتفسير يجد أنّ المعنى العام للآية القرآنية عند الإمام الرازي يتأتى من خلال تعاضد مجموعة من القنوات اللغوية الدلالية، التي كان يؤمن بأنها السبيل الوحيدة لبيان المعنى المقصود من الآية القرآنية، وهذه القنوات هي: سياق الحال والدلالة المعجمية والدلالة الصرفية والدلالة التركيبية وأخيراً الدلالة الصوتية، وفيما يأتي تفصيل كلٍ منها.

### أولاً: سياق الحال:

أشار ابن جني إلى معنى سياق الحال وقيّمته في فهم الحدث اللغوي عندما عقّب على قول الشاعر:

**وصكّت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس**

يقول: "فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس، من غير أن يذكر صلّ الوجه لأعلمنا بذلك أنّها متعجّبة منكورة، لكنّه لما حكى الحال، فقال: "وصكّت وجهها بيمينها" علم بذلك قوة إنكارها وتعاضد الصورة لها...<sup>36</sup>". إنّ الموقف السابق الذي شرحه ابن جني يوصل الباحث إلى تصوّر عام لمفهوم سياق الحال ألا وهو ما يحيط بالنص اللغوي أو الحدث الكلامي من ظروف غير لغوية، تسهم في فهم اللغة وتلمس دلالاتها. كما ينقل الدكتور علي حسن أنّ العالم (فيرث) أشار إلى قريب من هذا المعنى، وسمّاه (المستوى الاجتماعي)، حيث يقول: "وقد حاول العالم الإنجليزي Firth (فيرث) أن يحدّد أطراً عامة عدّها عناصر أساسية تؤثر في فهم الحدث اللغوي على المستوى الاجتماعي، وهي:

1. المظاهر الوثيقة الصلة بالمشاركين والسامعين، وتتضمن كلام المشاركين وأفعالهم وتصرفاتهم في أثناء الكلام.

انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص14، 18، 48، 52، 71، 158، 186، 205، 35

ابن جني، الخصائص، ج1، ص245، 36



2. الأشياء الوثيقة الصلة بالموقف.

3. أثر الحدث الكلامي.<sup>37</sup>

ومن جانب تطبيقي فقد اهتمّ الرازي في تفسيره كثيرا ببيان سياق الحال الذي يحيط بالسورة القرآنية أو الآية الكريمة، يقول ابن رشيق القيرواني فيما يتعلق بقيمة سياق الحال: "قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره"<sup>38</sup>. ومن جانبها أكدت الدراسات الدلالية الحديثة كذلك القيمة الفعلية المرتجاة من سياق الحال في عملية البحث عن معنى النص<sup>39</sup>. وهذه الإشارة للسياق كان من شأنها أن تضع القارئ في جوّ السورة المفسّرة تماما، مما سهّل فهمها واستيعابها لدى القارئ، وكان التعريف بسياق الحال للسورة عند الرازي يقوم على ركنين أساسيين.

### 1. أسباب النزول:

ونعني بسبب النزول الظروف العامة التي استدعت نزول السورة أو الآية القرآنية، وأحاطت بها. ومعرفة هذه الظروف ضروري جدا لدى المفسّر في الترجيح والتفسير. أما من حيث التفسير فإن الباحث يجد أنّ الإمام الرازي يعتمد أحيانا ظروف النزول في ذكر وجه التفسير المحتمل للآية كما فعل في قوله تعالى "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى" (طه: 1-3)، إذ يقول: "وخامسها أنّ هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان عليه السلام مقهورا تحت ذل أعدائه فكأنه سبحانه قال له: لا تظن أنك تبقى على هذه الحالة أبدا، بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فإنما ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقيا فيما بينهم بل تصير معظما مكرما"<sup>40</sup>. وأما من حيث الترجيح فيأتي سبب النزول<sup>41</sup> مرجحا عند الرازي أحد احتمالات التفسير كما في قوله تعالى "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم..." (البقرة: 189)، فقد رجّح أن المقصود ب(فضلا من ربكم) على أنه التجارة. مستندا في ذلك إلى دليلين؛ أحدهما سبب النزول، فقال: "ثم الذي يدل على صحة هذا التفسير وجهان... الثاني: الروايات المذكورة في سبب النزول"<sup>42</sup>. وأسباب

<sup>37</sup> علي حسن فربان، الوجيز في علم الدلالة، دار شموع الثقافة، 2004، ص 42-43.

<sup>38</sup> ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج 1، ص 58.

<sup>39</sup> الكريم حسين حامد صالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، ص 30.

<sup>40</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج 22، ص 4.

<sup>41</sup> انظر: محي الدين، علم الدلالة عند العرب، ص 91.

<sup>42</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج 5، ص 187.

النزول وإن كانت مهمة لدى الرازي إلا أنه يرى أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد صرح بذلك<sup>43</sup>. وهذا من شأنه أن يجعل القرآن الكريم صالحا لكل زمان ومكان، ودلالاته مستمرة في أثرها وفعاليتها. ويلاحظ الباحث أنّ منهج الرازي في التعاطي مع أسباب النزول هو ذكر السبب في الغالب للقارئ دون توجيهه، كما فعل في قوله تعالى "وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا..." (النساء:128)، فقد ذكر الرازي في سبب نزول هذه الآية عدة روايات، تدور جميعها حول محور واحد هو ما ذكرته عائشة رضي الله عنها من أنها نزلت في المرأة تكون عند الرجل ويريد أن يستبدل بها غيرها، فتقول: أمسكني وتزوج بغيري وأنت في حل من النفقة والقسم<sup>44</sup>. ويرى الباحث أنّ هذه الطريقة من شأنها أن تحفز ذهن القارئ لإنعام النظر والترجيح دون تلقين من المفسر نفسه. وهذا يعيدنا إلى السمة البارزة في منهجه، حيث عرض الآراء أولا، وبعد استيعاب الآراء يأتي التوجيه المبني على أسس علمية، وإن لم يصرح تصريحاً بتلك الأسس. كما يلاحظ أن الرازي في تفسيره لا يعارض أن يكون للآية القرآنية غير سبب للنزول، وهذا يتضح جليا في تفسيره الآية السالفة.

## 2. مكيّة الآيات ومدنيتها:

يقول محمد باقر فيما يختص بتمييز الآيات من حيث مكيّتها ومدنيتها رغم اختلاف العلماء في تحديد هذين المفهومين والقصد في كل منهما: إنّ "التمييز من ناحية زمنيّة بين ما أنزل من القرآن قبل الهجرة وما أنزل بعدها أكثر أهمية للبحوث القرآنية من التمييز على أساس المكان... فكان جعل الزمن أساسا للتمييز بين المكي والمدني واستخدام هذا المصطلح لتحديد الناحية الزمنية أوفق بالهدف"<sup>45</sup>. وفي بيان قيمة هذا الركن في التفسير يقول الباحث بكري الشيخ، صاحب "التعبير الفني في القرآن"، إنّ معرفة مكيّة الآية أو مدنيتها يسهم إسهاما كبيرا في تفسيرها ويحمي المفسر من الوقوع في الخطأ؛ فمن قرأ (قل يا أيها الكافرون) ولا يعلم أنها نزلت قبل الهجرة، فإنه يحار في معناها وقد يستخرج منها أنّ المسلمين لا يكلفون بالجهاد وإنما عليهم أن يقولوا للآخرين: (لكم

انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج3، ص83.

انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج11، ص65.

محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص251.

دينكم ولي دين)، ولكن حين يعلم أن نزولها كان قبل الهجرة يزول هذا الوهم<sup>46</sup>. كان الرازي يذكر مكية السورة أو مدنيها خدمة للتفسير كما فعل قبل دخوله في تفسير سورة الكهف؛ فذكر عدد آياتها وأنها مكية ثم نقل رواية عن ابن عباس قال فيها: "إنها مكية غير آيتين منها فيهما ذكر عُيَيْنة بن حصن الفزاري"<sup>47</sup>، والمتبع الدقيق للمكي والمدني يجد أن الرازي يحصر فائدة هذه المعرفة في حدود النسخ والمنسوخ لما تبين سابقا من أن معرفة تأريخ النزول أساس في تحديد أي الآيات ناسخة وأياها منسوخة، فيقول الرازي في أول تفسيره لسورة إبراهيم: "اعلم أنّ الكلام في أنّ هذه السورة مكية أو مدنية طريقة الأحاد ومتى لم يكن في السورة ما يتصل بالأحكام الشرعية فنزولها بمكة والمدنية سواء وإنما يختلف الغرض في ذلك إذا حصل فيه ناسخ ومنسوخ فيكون فيه فائدة عظيمة"<sup>48</sup>. إن أسلوب الآية في تأديتها للمعنى يختلف قبل الهجرة عنه بعد الهجرة؛ "لأنّ أغلب من خطب قبل الهجرة كان من المشركين يعبدون الأصنام ويشركون بالله وهم الداء في الخصومة، أهل مارة ولجاجة في القول عن فصاحة وبيان فيما كان أغلب الخطاب بعد الهجرة مع أناس آمنوا بالله ورسوله، فلا ريب في أن يأتي الخطاب الأول مع كونه امتدادا للخطاب الثاني يحمل طابعا خاصا من حيث الأسلوب في الأداء"<sup>49</sup>. ومعرفة المكي والمدني كفيلا بالكشف عن هذا الأسلوب. وفي بعض المواضع يلجأ الرازي إلى مكية الآية أو مدنيها لتقرير افتراض ودحض آخر، كما فعل في قوله تعالى "ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله بيني وبينكم ومن عنده علم من الكتاب" (الرعد:43)، ففي تحديد هويّة (من عنده علم من الكتاب) ذكر الرازي أقوالا عديدة منها أن المراد بهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وقيم الداري<sup>50</sup>، وقد أشكل هذا القول على سعيد بن جبیر؛ إذ إن سورة الرعد مكيّة فلا يجوز أن يراد به ابن سلام وأصحابه؛ لأنهم آمنوا في المدينة بعد الهجرة. ويقول الرازي في تفسيره قوله تعالى: "فصلّ لربك وانحر" (الكوثر:2): "السورة مكيّة في أصح الأقوال وكان الأمر بالنحر جاريا مجرى البشارة بحصول الدولة وزوال الفقر والخوف"<sup>51</sup>. ومن هذا يتضح أن الرازي تعامل مع الظرف النزولي للآيات بوصفه واقعا لا بد على المفسر أن يضعه

انظر: بكرى الشيخ، التعبير الفني في القرآن، ص43.46

الرازي، التفسير الكبير، ج21، ص73.47

الرازي، التفسير الكبير، ج19، ص72.48

انظر: بكرى الشيخ، التعبير الفني في القرآن، ص43.49

انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج19، ص69.50

الرازي، المصدر نفسه، ج32، ص132.51

بعين الاعتبار أثناء بحثه عن دلالة النص، وهذا يؤكد أن قصر الفائدة في إطار بحث النسخ أمر يحتاج إلى إعادة نظر.

### ثانياً: الدلالة المعجمية:

يقصد بالدلالة المعجمية "دلالة الكلمة التي استخدمت بها في المجتمع مفردة أو في تركيب، سواء أكان المعنى حقيقياً في أصل الوضع أو مجازياً منقولاً عن معنى حقيقي"<sup>52</sup>. وهذا التعرف يوصلنا إلى أن اللفظة مقصودة بحد ذاتها. يقول الرازي: "كل معنى كانت الحاجة إلى التعبير عنه أهم كان وضع اللفظ بإزائه أولى مثل صيغ الأمر والنهي والعموم والخصوص"<sup>53</sup>. وانطلاقاً من هذا الرأي يلحظ الباحث قصديّة استعمال الألفاظ عند الرازي وخلو العشوائية من الاختيار، فاستعمال الألفاظ عنده يكون لمسوّغ ولا يكون اعتباطاً، ومن هنا استطاع أن يلج إلى عمق المعنى من خلال استنطاق اللفظ واستخراج أسرار استعماله. ويذهب الرازي إلى أنّ "الحكمة في وضع الألفاظ للمعاني، وهي أنّ الإنسان بحيث لا يستقل بتحصيل جميع مهماته فاحتاج إلى أن يعرف غيره ما في ضميره ليتمكن التواصل به إلى الاستعانة بالغير ولا بد لذلك التعريف من طريق، والطرق كثيرة مثل الكتابة والإشارة والتصفيق باليد والحركة بسائر الأعضاء إلا أن أسهلها وأحسنها هو تعريف ما في القلوب والضمائر بهذه الألفاظ"<sup>54</sup>.

وفي سبيل بيان الدلالة المعجمية للألفاظ القرآنية كان الإمام الرازي، في الغالب، يتبع تسع وسائل لبيان المعاني المعجمية، وهي:

#### 1. بيان المعنى بالترادف:

ويعني به الباحث أن يلجأ المفسر إلى الترادف<sup>55</sup> في بيان المعنى المعجمي للكلمة المقصودة بالشرح، ومن أمثلة ذلك عند الرازي تفسيره قوله تعالى "ومما رزقناهم ينفقون" (البقرة: 3) يقول: "الرزق في

<sup>52</sup> محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 157.

<sup>53</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج 1، ص 24.

<sup>54</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج 1، ص 25.

<sup>55</sup> الترادف هو الألفاظ المختلفة في البناء المتشابهة في المعاني.

كلام العرب هو الحظ والنصيب"<sup>56</sup>. وكلامه في قوله تعالى: "إنه ظن أن لن يحور"، قال: ما كنت أدري ما معنى (يحور)، حتى سمعت أعرابية تقول لابنتها: حوري، أي (ارجعي)<sup>57</sup>. وهذا النهج في بيان معاني الكلمات يعدّ النهج الأيسر للمفسّر والقارئ على حد سواء؛ فالكلمة بالكلمة تفسّر ولا داعي للإطالة في تفسيرها.

## 2. بيان المعنى بالضد:

والمقصود هنا أن يسعى الشارح لبيان المعنى من خلال بيان اللفظة المقابلة لللفظة المشروحة. وذلك كما ذكر الرازي في قوله تعالى "وتركهم في ظلمات لا يبصرون" (البقرة:17)، أنّ الظلمة هي عدم النور، وهي في أصل اللغة عبارة عن النقصان<sup>58</sup>. وكما فعل أيضا في قوله تعالى "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين" (البقرة:168)، فقد فسر (الحلال) بقوله: "وأصله من الحل، الذي هو نقيض العقد، ومنه حل بالمكان إذا نزل به؛ لأنه حل شدّ الارتحال للنزول، وحلّ الدين إذا وجب لانحلال العقدة بانقضاء المدة، وحلّ من إحرامه لأنه حل عقدة الإحرام"<sup>59</sup>.

## 3. بيان المعنى من خلال التعريف:

وفي شرحه للمفردة يمكن للمفسّر أن يصفها ويذكر خصائصها أيضا كما في حديث الرازي عن قوله تعالى "هو الذي يصوركم" (آل عمران:6)، يقول الرازي: "والصورة: هيئة حاصلة للشيء عند إيقاع التأليف بين أجزائه، وأصله من صاره يصوره إذا أماله، فهي صورة لأنها مائلة إلى شكل أوبه"<sup>60</sup>. وكذلك عند قوله تعالى "ونزعتنا ما في صدورهم من غل" (الأعراف:43)، قال: "الغل: الحقد، وهو الذي يغل إلى صميم القلب، أي يدخل، ويقال: انغلّ في الشيء، وتغلغل فيه إذا دخل فيه بلطفة كالحب في صميم الفؤاد"<sup>61</sup>.

<sup>56</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص28.

<sup>57</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج31، ص98.

<sup>58</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص69.

<sup>59</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج5، ص3.

<sup>60</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج7، ص11.

<sup>61</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج14، ص66.

#### 4. بيان المعنى بشرح أصل اللفظ:

ويقصد الباحث هنا أنّ المفسّر لجأ إلى توضيح أصل المفردة في سبيل شرحها، ومن ذلك شرح الرازي كلمة (الظلمة) في قوله تعالى "وتركهم في ظلمات لا يبصرون" (البقرة: 17). حيث قال: "والظلمة: عدم النور عما من شأنه أن يستنير، والظلمة في أصل اللغة عبارة عن النقصان، قال تعالى: "آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً" (الكهف: 33)، أي: لم تنقص، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم. أي: فما نقص حق الشبه. والظلم: الثلج لأنه ينتقص سريعاً...<sup>62</sup>. وكذلك في تفسيره كلمة (المسكين) في قوله تعالى "واليتامى والمسكين" (البقرة: 83) يبيّن سبب التسمية بذكر تفسيرها الاشتقائي حيث قال: "والمساكين واحدها مسكين، أخذ من السكون كأن الفقر قد سَكَنه"<sup>63</sup>. ومن خلال هذا المنهج يمكننا أن نتبّع التطور الدلالي للمفردة. ومن الأمثلة أيضاً كلمة (الخمير)، فقد بيّن أنّ أصل هذه الكلمة هو التغطية؛ ولذلك سمي الخمار خميراً؛ لأنه يغطي رأس المرأة... وسميت خمراً لأنها تخامر العقل، أي تخالطه، يقال: خامر الداء إذا خالطه<sup>64</sup>. وكذلك قوله في الآية الكريمة "لقد قلنا إذا شططاً" (الكهف: 14)، فالشطط في أصله البعد، ومنه شطّط الدار إذا بعدت، إلا أنّ دلالاته قد تطوّرت فأصبح يطلق على مجاوزة الحد، فخلص بذلك الرازي إلى القول: "فالشطط: البعد عن الحق"<sup>65</sup>.

#### 5. بيان المعنى بنقل الدلالة من المجرد إلى المحسوس:

وهذه الطريقة في التفسير ترى أنّ أصل المعنى حسّيّ وتطوّر إلى المعنى المجرد، فالمفسّر هنا يعيد المعاني المجردة إلى المعاني الحسيّة بغية شرحها وتيسير فهمها، كما فعل الرازي في قوله تعالى "فأولئك حبطت أعمالهم" (البقرة: 217)، حيث قال: "قال أهل اللغة: أصل (الحبّط) أن تأكل الإبل شيئاً يضرّها فتعظم بطونها فتهلك...، فسمي بطلان الأعمال بهذا؛ لأنه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه"<sup>66</sup>.

<sup>62</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص69.

<sup>63</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج1، ص152.

<sup>64</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج6، ص37.

<sup>65</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج21، ص83.

<sup>66</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج6، ص33.

وقد يعتمد الرازي البعد المادي في الجذر اللغوي للكشف عن الدلالة القرآنية؛ وذلك لأن الألفاظ وضعت في أصلها للمحسوسات ثم تطورت لتدل على المجردات في بعض الأحيان، كما هو الحال في قوله تعالى "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين" (البقرة: 168)، فقد ذكر الرازي أن "الطيب في الأصل هو ما يستلذ به ويستطاب، ووصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه؛ لأن النجس تكرهه النفس فلا تستلذه والحرام غير مستلذ"<sup>67</sup>. وكذلك عند تفسيره لكلمة (انفجرت) في قوله تعالى "فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا" (البقرة: 60) ينتقل بها من دلالتها الحسية في قوله "الانفجار: خروج الماء بكثرة... والانفجار: الانشقاق..."<sup>68</sup> إلى الدلالة المعنوية في قوله "ومنه الفاجر؛ لأنه يشق عصا المسلمين بخروجه إلى الفسق". وحاول أن يربط بين المدلول المادي والحسي في سعيه لتوضيح المعنى المقصود، كقوله في كلمة (شقاق) في قوله تعالى "وإن تولّوا فإنما هم في شقاق" (البقرة: 137)، قال: "الشقاق مأخوذ من الشق، كأنه صار في شق غير شق صاحبه بسبب العداوة، وقد شقّ عصا المسلمين إذا فرّق جماعتهم وفارقها..."<sup>69</sup>.

#### 6. بيان المعنى من خلال "حقل المترادفات":

ويحاول الرازي رصد الفوارق الدلالية بين الألفاظ المترادفة، إذ يقول: "إنه قد تكون الألفاظ تقرب من أن تكون مترادفة، ولكن التأمل التام يدل على الفرق اللطيف"<sup>70</sup>. ثم يضرب لذلك أمثلة منها (الرؤوف والرحيم)، فيذهب إلى أنهما متقاربان إلا أن (الرؤوف) أميل إلى جانب إيصال النفع، و(الرحيم) أميل إلى جانب دفع الضرر<sup>71</sup>. وهذا الرصد الدقيق للفوارق يسعى المفسر من خلاله إلى بيان السر الدلالي المائل وراء اختيار اللفظة هذه من دون مترادفاتهما. وكما صنع كذلك في قوله تعالى "وكم قصمنا من قرية" (الأنبياء: 11)، وقارن فيها بين (القصم) و(الفصم)، فذكر أن (القصم) أفضع الكسر، وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف (الفصم)<sup>72</sup>.

<sup>67</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج5، ص3-4.

<sup>68</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج3، ص89.

<sup>69</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج4، ص77.

<sup>70</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج1، ص136.

<sup>71</sup> انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص136.

<sup>72</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج22، ص126.

وكذلك في قوله تعالى " في طغيانهم يعمهون" (البقرة:15)، بيّن الفرق بين (العمى) و(العمه)<sup>73</sup>، فوجد أنّ (العمى) عام في البصر والرأي، بينما (العمه) في الرأي خاصة، وهو أقرب إلى التردد والتحير حيث إنّ صاحبه لا يدري أين يتوجّه.

#### 7. بيان المعنى من خلال شرح المصطلح:

ويذكر الرازي الدلالة الاصطلاحية لبعض الألفاظ بعد ذكر الدلالة المعجمية لها، ولعل هذا، رغم قلته نسبياً، يعدّ لونا من ألوان التطور الدلالي في تفسيره، وذلك كما فعل في لفظة (الصلاة)، حيث قال: " الصلاة في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة يتلو بعضها بعضاً، مفتوحة بالتحريم، محتمة بالتحليل"<sup>74</sup>.

#### 8. بيان المعنى من خلال توضيح سبب التسمية:

حاول الرازي أن يذكر سبب تسمية المفردة موضحاً معناها من خلال سبب تسميتها كما فعل في قوله تعالى "وفي الرقاب" (البقرة:177)، حيث ذكر أنّ الرقاب جمع الرقبة وهو مؤخرة أصل العنق، واشتقاقها من المراقبة، وذلك أنّ مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم، ولهذا المعنى يقال: أعتق الله رقبتك، ولا يقال: أعتق الله عنقه؛ لأنها لما سميت رقبة كانت تراقب العذاب<sup>75</sup>. وكذلك في قوله تعالى "شهر رمضان" (البقرة:185)، يقول: " الشهر مأخوذ من الشهرة، وسمي الشهر شهراً لشهرة أمره، وذلك لأن حاجات الناس ماسة إلى معرفته بسبب أوقات ديونهم، وقضاء نسكهم في صومهم وحجّهم"<sup>76</sup>.

#### 9. بيان المعنى من خلال الرجوع إلى لغات العرب:

وكان الرازي يفسر في بعض الأحيان بالرجوع إلى لغات العرب كقوله في الآية الكريمة "ثمّ جاءتها ريح عاصف" (يونس:22)، ذكر أنه يقال: عصفت الريح إذا اشتدّت، وأصل العصف السرعة، إذ يقال: ناقة عاصف، وعصوف سريعة، ثمّ نقل عن الفراء أنّ الألف في (عاصف) هي لغة بني

<sup>73</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص65.

<sup>74</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص29.

<sup>75</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج5، ص37.

<sup>76</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج5، ص71.



أسد<sup>77</sup>. وفي قوله تعالى "وإننا لنراك فينا ضعيفا" (هود:91)، ذكر المعنى العام المشترك للضعيف، وهو الذي يتعذر عليه منع القوم عن نفسه، ثم قال: "والثاني أنّ الضعيف هو الأعمى بلغة حمير<sup>78</sup>".

### ثالثاً: الدلالة الصرفية:

إن المعنى المعجمي منفرد لا يمكنه أن يحمل دلالة اللفظ كاملاً وحده، بل إنّ في بنية الكلمة دلالة لا يمكن إغفالها أيضاً<sup>79</sup>، هذه الدلالة التي يمكنها أن تضيف إلى المعنى المعجمي معاني أخرى. وقد تبّه الرازي في تفسيره إلى هذا النوع من الدلالة. إنّ الدلالة الصرفية واضحة عند الإمام الرازي في تفسيره، وقد صرح بقيمتها في أول تفسيره، فقال: "اعلم أنّ أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ هو طريق الاشتقاق"<sup>80</sup>. فمثلاً أفاد من ورود لفظه (سبح) بصيغة الماضي في فواتح سورة الحديد والحشر، وجاءت بصيغة المضارع في سورة الجمعة ليستدل على أن صفة التسبيح مستمرة لا تختص بوقت محدد لها، فيقول: "جاء في بعض الفواتح (سبح) على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وذلك إشارة إلى أنّ كون هذه الأشياء مسبحة غير مختصة بوقت دون وقت، بل هي كانت مسبحة أبداً في الماضي وتكون مسبحة أبداً في المستقبل"<sup>81</sup>. وفي قوله تعالى "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" (البقرة:195) وفي سياق تفسير الإمام الرازي لكلمة (تهلكة) على أنّها مصدر يقول: "هلك يهلك هلاكاً وهلكاً، وتهلكة، وهي على وزن تفعله..."<sup>82</sup>. وكذلك في قوله تعالى "يؤمنون بالغيب" (البقرة:3) أشار إلى أن (الغيب) مصدر، بقوله: "الغيب مصدر، أقيم مقام اسم الفاعل، كالصوم بمعنى الصائم، والزور بمعنى الزائر"<sup>83</sup>.

وقد يشير الرازي إلى نوع المفردة قبل شرحها، كتفسيره لقوله تعالى "أو يصبح ماؤها غورا" (الكهف:41)، فيقول: "أي غائر، وهو نعت على لفظ المصدر، كما يقال: فلان زور، وصوم للواحد، والجمع والمذكر والمؤنث، ويقال: نساء نوح، أي نوائح"<sup>84</sup>. وهذا السلوك الدلالي

<sup>77</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج17، ص57.

<sup>78</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج18، ص40.

<sup>79</sup> انظر: فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ص7، وانظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص47.

<sup>80</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص13.

<sup>81</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج29، ص206.

<sup>82</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج5، ص116.

<sup>83</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص26.

<sup>84</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج21، ص109.

يشير إلى الوعي اللغوي لدى المفسر قبل بدئه الشرح والتفسير. وفي موضع آخر يحاول الرازي تلمس الدلالة الصرفية من خلال التفريق بين دلالة اسم الفاعل ودلالة الفعل من حيث ثبوتها عند اسم الفاعل وتحددتها عند الفعل، فيقول: "إن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال: فلان شرب الخمر، وفلان شارب الخمر... فإنه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك"<sup>85</sup>.

كما بحث الرازي عن المشترك دلاليا بين الصيغة الصرفية الواحدة الناتجة عن جذور لغوية متعددة، كما فعل أثناء تفسيره قوله تعالى "لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمتم تفكّهون" (الواقعة:65)، إذ يقول: "والحطام كالثقات والجذاذ... والفعال في أكثر الأمر يدل على مكروه أو منكر؛ أما في المعاني فكالسببات والفوق والزكام والدوار والصُداع لأمراض وآفات الناس والنبات، وأما في الأعيان فكالجذاذ والحطام والثقات..."<sup>86</sup>. كما أشار أثناء تفسيره إلى مجيء صيغة صرفية بمعنى صيغة أخرى كما فعل في قوله تعالى "ضائق به صدرك" (هود:12)، فقد أشار إلى أنّ (ضائق) هنا بمعنى (ضيق)، وهو لا يحمل معنى الثبات والاستقرار، بل هو على معنى الحدوث<sup>87</sup>. فقد أخرج الرازي اللفظ من صيغة صرفية إلى صيغة أخرى ليدل على ما ذهب إليه من معنى. وفي قوله تعالى "ولهم عذاب أليم" (البقرة:174) يقول: "واعلم أنّ الفعل قد يكون بمعنى الفاعل، كالسميع بمعنى السامع، وقد يكون بمعنى المفعول، كالجريح والقتيل بمعنى المجرع والمقتول، وقد يكون بمعنى المفعول كالبصير بمعنى المبصر والأليم بمعنى المؤلم"<sup>88</sup>. وحلل الرازي أيضا القراءات المختلفة للفظة الواحدة وميّز اختلاف الدلالة الصرفية في كل قراءة، كما فعل مع كلمة (نعمة) في قوله تعالى "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي... (البقرة:47)؛ حيث ميّز بين (نعمة) بكسر النون، التي هي (المنة) وما يُنعم به الرجل على صاحبه، و(نعمة) بفتح النون، التي هي ما يُتَنعم به في العيش مستشهدا على الأولى بقوله تعالى "وتلك نعمة تمنّها علي.. (الشعراء:22)، وعلى الثانية بقوله تعالى "ونعمة كانوا فيها فاكهين" (الدخان:27)<sup>89</sup>. وكذلك في قوله تعالى "إلا من اغترف غرفة بيده... (البقرة:

<sup>85</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج25، ص29.

<sup>86</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج29، ص183.

<sup>87</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه، ج17، ص155.

<sup>88</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج5، ص24، ج7، ص56.

<sup>89</sup> انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص50.

(249)؛ فقد بيّن لغات (عُرْفَة)؛ فنقل أنّ العُرْفَة بالضم: الشيء القليل، الذي يحصل بالكف، والعُرْفَة بالفتح: الفعل، وهو الاعتراف مرة واحدة. كما أخذ يضرب الأمثلة على ذلك، كقوله "ومثلها الأكلة والأُكلة، يقال: فلان يأكل في النهار أكلة واحدة، وما أكلت عندهم إلا أكلة بالضم أي شيئاً قليلاً كاللقمة..."<sup>90</sup>. وفي سبيل ضبط الدلالة الصرفية تماماً اهتمّ الرازي في تفسيره بضبط الكلمات المشروحة خوفاً من الخلط والتحريف، فكان يضبط الوزن تارة، كما قال عند شرحه لقوله تعالى "وعلى أبصارهم غشاوة" (البقرة: 7) "الغشاوة: الغطاء، فعالة، كالغصابة والعمامة"<sup>91</sup>. وفي "يسألونك عن الأهلة" (البقرة: 189) "الأهلة: جمع هلال، فعّال يُجمع في أقل العدد على أهلة"<sup>92</sup>. وكذلك في قوله تعالى "إن الله لا يظلم مثقال ذرة" (النساء: 40) "مثقال: مفعّال من الثقل"<sup>93</sup>. وكان في بعض السياقات يضبط اللفظ بالوصف كقوله في قول الله تعالى "وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها" (البقرة: 189) "البيوت بكسر الباء، وبالضم"<sup>94</sup>. وفي قول الله تعالى "فعميت عليكم" (هود: 28) "فعميت بضم العين، وتشديد الميم على ما لم يسمّ فاعله"<sup>95</sup>. وفي قوله تعالى "أنّ الله يبشرك بيحيى" (آل عمران: 39) "يبشرك بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين"<sup>96</sup>.

### رابعاً: الدلالة التركيبية:

هي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات بين الكلمات، التي تتخذ كل منها موقعا معينا في الجملة حسب قوانين اللغة، حيث إنّ كل كلمة في الجملة أو التركيب لا بد أن تكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها<sup>97</sup>. يجد الباحث الرازي كثيرا ما يراقب التراكييب النحوية في النصوص ليستخرج دلالات معينة ومعاني مقصودة<sup>98</sup>، كما فعل في قوله تعالى: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير" (آل عمران: 26)، يقول في التقديم والتأخير في (بيدك الخير): "فقوله (بيدك الخير)

<sup>90</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج6، ص154.

<sup>91</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج2، ص45.

<sup>92</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج5، ص103.

<sup>93</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج10، ص82.

<sup>94</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج5، ص108.

<sup>95</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج17، ص121.

<sup>96</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج8، ص31.

<sup>97</sup> انظر: عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، ص194.

<sup>98</sup> وقد سماها إبراهيم أنيس "المعاني المترتبة على اختلاف نظام الجملة وهندستها"، دلالة الألفاظ، ص48.

يفيد الحصر كأنه قال: بيدك لا بيد غيرك، كما إن قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين)(الكافرون:6) أي لكم دينكم لا لغيركم، وذلك الحصر ينافي حصول الخير بيد غيره فثبت دلالة هذه الآية... على أنّ جميع الخيرات منه وبتكوينه وتخليقه وإيجاده وإبداعه<sup>99</sup>. وفي موضع آخر نجد الرازي يعتمد على العطف في استنتاج دلالة لغوية لطيفة وذلك عندما نظر إلى قوله تعالى "من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين"(البقرة:98)، فقد تساءل الرازي عن سبب إظهار الملكين (جبريل وميكايل) على الرغم من اندراجهما تحت جنس الملائكة المذكورة في الآية نفسها، فأجاب بقوله: "أفردها بالذكر لفضلهما كأنهما لكمال فضلهما\_ صارا جنسا آخر سوى جنس الملائكة"<sup>100</sup>. وعندما أخذ الرازي يفسر قول الله تعالى "إنا أعطيناك الكوثر"(الكوثر:1) قال بجملة من المعاني التي استوحاها من التركيب العام للجملة؛ فقال: "إنه بني الفعل على المبتدأ وذلك يفيد التأكيد"<sup>101</sup>، وقال: "إنه تعالى صَدَّرَ الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم، وكلام الصادق مصون عن الخلق فكيف إذا بالغ في التأكيد"<sup>102</sup>، ولحظ مجيء الفعل على الزمن الماضي وخرج من ذلك بجملة من الأمور منها أنّ ما كان في الزمن الماضي أبداً أشرف مما سيصير<sup>103</sup>. ونجده في موضع آخر يلحظ الفوارق الدلالية الناجمة من التغيير في تقدير الإعراب، كما في قوله تعالى "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر والله بصير بما يعملون"(البقرة:96)، فقد ذكر الرازي للواو في قوله (ومن الذين أشركوا) احتمالات متعددة كل احتمال يعطي معنى جديداً خاصاً، فقال: "ففيه ثلاثة أقوال؛ (أحدها) أنها واو عطف والمعنى: إن اليهود أحرص الناس على حياة وأحرص من الذين أشركوا. (ثانيها) إنّ هذه الواو واو استئناف وقد تم الكلام عند قوله (على حياة)، وتقديره: ومن الذين أشركوا أناس يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة. (ثالثها) إنّ فيه تقديماً وتأخيراً، وتقديره: ولتجدنهم وطائفةً من الذين أشركوا أحرص الناس على حياة"<sup>104</sup>. وفي سياق

<sup>99</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج8، ص9.

<sup>100</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج3، ص198.

<sup>101</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج31، ص121.

<sup>102</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج31، ص122.

<sup>103</sup> انظر: الرازي، المصدر نفسه ج31، ص122.

<sup>104</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص192.

بيان دلالة الجملة الفعلية يذهب الرازي في تفسيره لقوله تعالى " أتى أمر الله فلا تستعجلوه" (النحل:1) إلى دلالة خاصة للتركيب الفعلي، فيقول: " الشيء الذي يكون لازم الحصول في المستقبل فقد يعبر عنه بأنه حدث أو هو حادث ...، فهنا لو وقع التعبير عنه بلفظ المستقبل لم يكن فيه مبالغة، أما لو وقع التعبير عنه بلفظ الماضي دل ذلك على أن هذا المستقبل كالكائن الواقع"<sup>105</sup>.

### خامساً: الدلالة الصوتية<sup>106</sup>:

إن الاهتمام بالدلالة الصوتية عند الإمام الرازي قليل جداً، فلا نجد المجال هنا متسعاً مثلما وجدنا في المستويات الدلالية الأخرى، فهي لا تتجاوز إشارات هنا وهناك. ولعلّ هذه القلة مردّها إلى أن التوجه الدلالي السائد آنذاك لم يكن يلتفت كثيراً إلى الدلالة الصوتية، فكانوا ينشغلون بالدلالات الأخرى على أنها أولى وأدل. ومن تلك الإشارات عند الرازي ما يجده الباحث في بيان السبب الذي من أجله كتبوا لفظ الجلالة بلامين دون لفظ (الذي) مع استوائهما في اللفظ، فأجاب الرازي: " إنّ تفخيم ذكر الله في اللفظ واجب فكذلك في الخط، والحذف يناهني التفخيم"<sup>107</sup>. وفي تفسيره قوله تعالى " وأنه هو أغنى وأقنى" (النجم:48)، يقول الرازي: " إن الإقناء فوق الإغناء، والذي عندي أنّ الحروف متناسبة في المعنى، فنقول: لما كان مخرج القاف فوق مخرج الغين جعل الإقناء لحالة فوق الإغناء"<sup>108</sup>. واستثمر الرازي الدلالة الصوتية في تفريقه بين (الكسوف) و(الحسوف)، فيقول: " في القمر خسوف وفي الشمس كسوف، وذلك أنّ مخرج الخاء دون مخرج الكاف، ومخرج الكاف فوقه متصل به، فاستعمل وصف الأسفل للأسفل، والأعلى للأعلى؛ فقالوا: في الشمس والسماء (الكسوف والكسف)، وفي القمر والأرض (الحسوف والحسف)"<sup>109</sup>.

<sup>105</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج9، ص56.

<sup>106</sup> انظر التنظير في الدلالة الصوتية: البناء الصوتي في البيان القرآني، ص28.

<sup>107</sup> الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص106.

<sup>108</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج29، ص23.

<sup>109</sup> الرازي، المصدر نفسه، ج28، ص268.

## المصادر والمراجع

- عبد الحميد أحمد هندأوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م.
- رائد عبد الجليل العواودة، الإمام فخر الدين الرازي وفلسفته الخلقية، أطروحة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2002م.
- حيدر مصطفى هجر، البحث الدلالي عند الرازي، أطروحة دكتوراة، جامعة البصرة، 2005م.
- مُجّد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ط1، دار الطباعة المحمّدية، 1998م.
- الكريم حسين حامد، التأويل اللغوي في القرآن، أطروحة دكتوراة، جامعة المستنصرية، 1995م.
- مُجّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985م.
- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، 2005م.
- بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1994م.
- الرازي، فخر الدين (606هـ)، التفسير الكبير، المطبعة البهية، 1357هـ، وطبعة دار الفكر، بيروت، 1990م، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
- محمود أحمد السويد، التفسير الكبير للفخر الرازي لغويا ونحويا، أطروحة دكتوراة، جامعة دمشق، 1996م.
- حمدان حسين، التفكير اللغوي الدلالي، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2001م.

- الخازن، ابن الساعي (674هـ)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعبون السير، إشراف مصطفى جواد، المطبعة السريانية، بغداد، 1934م.
- عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، الأردن، 1985م.
- السبكي، تاج الدين (771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ط1، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964م.
- حمدي بخيت عمران، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2007م.
- محي الدين محاسب، علم الدلالة عند العرب، دار الهدى للنشر والتوزيع، مصر، 2001م.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق محمد محي الدين، ط4، دار الجليل، بيروت.
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين (668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.
- فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ط1، جامعة بغداد، 1981م.
- الحموي، ياقوت (626هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل (764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق هلموت ريتز، 1962م.
- ابن خلّكان، أحمد بن محمد (681هـ)، وفيات الأعيان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.